**المحاضرة التاسعة**

**السرد القصصي النسائي في الجزائر**

 إن المتتبع لنشأة الكتابة النسائية العربية في الجزائر يجدها قد مرت بمرحلتين :

مرحلة تمهيدية ظهر فيها المقال، ومرحلة المحاولة القصصية .

المرحلة الأولى - حسب ما توصلت إليه - تبدأ من سنة 1954 أي مقترنة زمنيا باندلاع ثورة التحرير الوطنية من خلال مساهمات نثرية تمثلت في مقالات اجتماعية تمحورت حول قضية المرأة في المجتمع الجزائري، وموضوعات أخرى لها علاقة بالتنشئة الاجتماعية السليمة والتربية الصحيحة للفرد الجزائري .

 من هذه المقالات مقال بعنوان " إلى الشباب " لزهور ونيسي تدعو فيه إلى ضرورة الاهتمام بتربية وتعليم المرأة، وإعدادها للمشاركة الإيجابية في حركة التنمية .

 ومقال آخر بعنوان " قيمة المرأة في المجتمع " لصاحبته باية خليفة تطرح فيه موضوع المرأة، ودورها في تثقيف المجتمع، وضرورة اعتمادها على إمكاناتها الذاتية، وتسخير قدراتها الفردية، وعدم اتكالها على الرجل في كل شيء، إذ أن عليها تبعة جسيمة تتمثل في بناء المجتمع والمشاركة في تطوره تماما مثل الرجل .

 ولقد نشطت الحركة الثقافية في جانبها الصحفي عند المرأة في هذه المرحلة، وهي ميزة إيجابية بالقياس إلى وضع المرأة في المجتمع الجزائري آنذاك، ونظرته الدونية إليها إلى جانب حرمانها من أهم حقوقها، وهو حق التعلم، لولا مساعي " جمعية العلماء المسلمين " الحثيثة إذ تنبهت إلى ضرورة تعلم المرأة، إضافة إلى الظرف الاستعماري العسير .

 ولعل ما يشير إلى نشاط الكتابة النسوية في هذه الفترة، هو متابعة الكاتبات لما كن ينشرن
في الصحف، إما من باب التنويه والشكر، أو بالمشاركة في إثراء الموضوع المطروح للنقاش
" فلويزة قلال " ترد في مقال لها بعنوان " حول المرأة الجزائرية على زهور ونيسي وتشاطرها الرأي فيما ورد في مقال لها بعنوان " حول المرأة الجزائرية والتمدن". كما تنوه " فريدة عباس" في مقالها شكر وأمل " بما أثارته زهور ونيسي في مقالها " إلى الشباب" ، وتقدم شكرها ""للويزة قلال " على إسهاماتها لإثراء الحركة الثقافية النسائية في الجزائر.

 هذا عن بدايات الكتابة النسائية، وهي جد متأخرة بالقياس إلى بداية نشاط الحركة الصحفية في الجزائر، باعتبار ارتباط الحركة الثقافية بالصحافة المكتوبة.

-أما المرحلة الثانية فتمثلها المحاولات القصصية التي يمكن عدها بداية حقيقية للقصة النسائية . تبتدئ بالصورة القصصية معنونة بـ" جناية أب وقد نشرت في ركن تحت عنوان " من صميم الواقع "، يدور مضمون هذه الصورة حول تخلي زوج سكير عن مسئوليته نحو أبنائه وزوجته، فيهجر زوجته وأولاده تاركا إياهم بين مخالب الفقر، وبراثن الحرمان مما يدفع بالأم إلى البحث عن شغل كخادم في بيوت الأثرياء، أما هو فيتزوج امرأة أخرى أقل سنا، وأحسن جمالا .

وفي شهر مارس من السنة نفسها تنشر " زهور ونيسي " عملا آخر تحت عنوان " الأمنية وهو موضوع يتناول الفقر والحرمان من خلال صبي يمتهن مسح الأحذية، وهي ظاهرة كانت جد منتشرة في أوساط الصبيان إبان الاحتلال بسبب العوز الشديد، فيتمنى هذا الصبي بكل أحلامه لبس حذاء جديد كذلك الذي مسحه لطفل أجنبي في مثل سنه . أما صورتها القصصية " من الملوم "، فتعالج فيها آثار التخلي عن القيم والأخلاق الأصيلة بسبب تبني لغة أجنبية وقيم دخيلة من خلال امرأة عجوز قصدت الحمام برفقة خادم تساعدها على المشي، بينما تخلت عنها ابنتها التي تتلمذت في مدرسة فرنسية، واكتسبت لغة دخيلة على حساب لغتها القومية .

 وهكذا يتضح أن القصة النسائية في الجزائر بدأت بداية بسيطة ساذجة من حيث الشكل والمضمون، فمن حيث الشكل كانت خطابية النبرة، مهزوزة الصورة، ضعيفة الحبك والأحكام الفني، أما من حيث المحتوى فقد كانت منبرا ووسيلة للوعظ والإرشاد .

 إن هذا النمط من أشكال القص أعني " الصورة القصصية "، كثيرا ما تفشل الكاتبة في تقديم موضوعه في صورة تتوفر على بناء فني متكامل، وإنما يكون ما تقدمه مجموعة من الصور تعرض فيها بعض مظاهر الحياة، وهي تحرص على إبراز هذه المظاهر حرصا كبيرا، فتتفنن في وصفها ساعية إلى إبرازها بحيث تبدو وكأنها غاية العمل القصصي، وهذا الأمر يعود في - اعتقادنا - إلى افتقار القاصة إلى تمثل عملها القصصي، ورسم ملامح أبعاده بسبب عدم تمكنها من أدواتها الفنية، حيث ترصد كل جهدها في تصوير المظاهر التي لا يشدها ببعضها رابط كبير، فيجيء عملها حينئذ مهشم البناء لا يصمد أمام النقد الفني.

 يتضح لنا في ضوء ما سبق أن إسهامات المرأة الجزائرية في القصة جاءت متأخرة
مقارنة بالقصة الرجالية القصيرة التي يعود ظهور إرهاصاتها الأولى إلى ما قبل الحرب الكونية الثانية، في
شكلها البدائي المعروف بـ " المقال القصصي على يد كل من محمد ابن العابد الجيلالي ومحمد السعيد الزاهري وغيرهما .

 في حين تأخرت البداية الحقيقية للمحاولة القصصية النسائية إلى سنة 1955 مع أول صورة قصصية لزهور ونيسي .